I. المحاضرة رقم (01) دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر وتطور نظام الحكم

أ. مدخل أوضاع الجزائر الداخلية وعلاقاتها الخارجية في بداية القرن التاسع عشر

ارتبطت الجزائر بالدولة العثمانية منذ العام 1518، وتمتعت بقوة عسكرية ومكانة معتبرة لأكثر من قرنين، وانتعشت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في مدنها إلى حد ما مدة قرن ونصف، ثم ما لبثت أن انقلبت بعدها صفحة المجد والازدهار، فوجدت الجزائر نفسها في وضع حرج تجاه دول أوروبا الناهضة. ومن المعلوم عند العام و الخاص أن الدولة العثمانية وقفت كسور منيع في طريق التوسع الأوروبي في العالم الإسلامي طوال أربعة قرون من الزمن، كما عملت الدولة العثمانية على توحيد صفوف المسلمين في العديد من الدول، هذا ما جعل الدول الغربية تتخوف من وحدة المسلمين و تكاتفهم من جهة و تحقد على الدولة العثمانية من جهة أخرى، و لهذا يعتبر العثمانيون في نظر الدول العربية بمثابة" **أبطال ساعدوا الدول العربية الضعيفة**، مقارنة بأوروبا على التخلص من هيمنة الأوروبيين و تفضيلهم على الغزاة المحتلين لأراضيهم.

ب. دوافع التواجد العثماني بالجزائر: يعود أول تعاون بين الجزائريين، والعثمانيين ضد الإسبان إلى المحاولة الأولى لتحرير بجاية ، التي قادها عروج في سنة 1512م، ولم يكن ليوجد الأتراك في الجزائر **لولا غزو الإسبان لها** و لم يتوصل الإسبان إلى احتلال بعض أجزائها إلا باستغلال الضعف و الانحطاط الذي عرفته الجزائر في **أواخر عهد الدولة الزيانية،** فدخل أمراؤها في صراع على العرش، و لم تعد تملك هذه الدولة من النفوذ إلا تلمسان و بعض أجزاء المناطق العربية، فعجزت عن مقاومة الغزاة و أجبرت على عقد الصلح مع الإسبان سنة 1512م. وفي مطلع القرن 16م احتلت اسبانيا موانئ هامة على سواحل المغرب الإسلامي، في غرب الجزائر احتلال المرسى الكبير في شهر أكتوبر 1505م ، و مدينة وهران في شهر ماي 1509، و بجاية يوم 6 جانفي 1510، و مستغانم 1511م. كما فرض الإسبان الجزية (الضرائب) على سكان هذه المدن الساحلية،- و إجبارهم على تمويل حروبهم الاستعمارية . و أمام هذا الوضع المزري و الصعب الذي كانت تمر به الجزائر في بداية **القرن السادس عشر**، لم يجد سكان الجزائر وسيلة **إلا الاستنجاد بالأخوين عروج و خير الدين**لإنقاذهم من الاحتلال الأوروبي لمدنهم، و ذلك بالالتجاء إلى تركيا القوية و القادرة على تزويد المحاربين الجزائريين بالذخيرة و الرجال الذين يمكنهم صد الطغاة الأوروبيين، و بفضل تلك المساعدة شعر أبناء الجزائر بدرجة عالية من الأمان و الاطمئنان في ظل الدولة العثمانية القوية. و انطلاقا من هذه الحقائق ، فإن العثمانيين يعتبرون منقذون و ليسوا مستعمرون ، قبل عروج هذه الدعوة واعتبرها فرصته الذهبية وذريعة لدخول المدينة، فليس هناك مجالا للشك بأن من **دوافع قبول عروج** الدعوة لمساعدة سكان مدينة الجزائر هو تنفيذ لرغبته الشديدة في تحرير المسلمين واستجابته لحميته الدينية وإحساسه بالمسؤولية اتجاه إخوانه المسلمين الذين يعانون من قهر النصارى . **عروج:** وهو الأخ الثاني في عائلة بربروس لعب دورا أساسيا في تمهيد الطريق لأخيه خير الدين من بعده في بسط نفوذ الخلافة العثمانية في الجزائر.

ت. الجزائر في ظل الحكم التركي العثماني: و من هذا المنطلق نخلص إلى أن لظهور الأتراك بالجزائر كان له دور فعال في إنقاذ هذا البلد من احتلال اسباني واقع لا محالة، لذلك قبل السكان بالانضواء تحت لواء الخلافة

العثمانية باسطنبول، و ما من شك أن رابطة الدين هي التي كانت الدافع الرئيسي للاستنجاد بالأخوين عروج و خير الذين و تلبيتهما النداء، خاصة و أن الصراع آنذاك كان على أشده بين المسلمين و الصليبيين .

ث. إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية: إن استشهاد عروج و جنوده في ماي عام 1518 عن سن يناهز 45 سنة إثر معركة دارت بينه و بين الإسبان خارج تلمسان و بالتحديد بواد المالح بنواحي عين تموشننت،

وبعد استشهاد عروج كان خير الذين إثرها متواجدا بمدينة الجزائر يعلن تبعيته للسلطان العثماني، حيث أدرك أنه لا يستطيع لوحده الاحتفاظ بالجزائر و أن يحارب الإسبان بقواته فقط، و لذلك ربط مصيره بمصير الإمبراطورية العثمانية التي برزت كأكبر دولة إسلامية تتوجه نحو حماية المسلمين في كل مكان .و ذلك بعد أن اقنع أعيان مدينة الجزائر بخطورة الوضع في الجزائر، و أهمية انضمام بلدهم إلى السلطة العثمانية التي تزود جيشه بالسلاح و المؤونة و الدعم السياسي لمواجهة الهجمات الاسبانية في حوض البحر الأبيض المتوسط، و بهذا الأسلوب تمكن خير الدين من تقوية جيشه و بسط نفوذه و ضمن سيطرته على الدوام، بعد أن أصبح ممثلا للسلطان التركي في أرض الجزائر. **و بعد أن قدم خير الدين بربروس** الولاء **للسلطان العثماني سليم الأول**قبل هذا الأخير عرضه قبولا حسنا و أرسل له 2000 جندي مسلحين بالبنادق و عددا من رجال المدفعية مع مدفعيتهم و عددا من المتطوعين، و لم يكتفي السلطان العثماني بذلك، بل وجه رسائل إلى حكام تونس و تلمسان يحذرهم من الاعتداء على حدود إمارة الجزائر .

و بتعيين **خير الدين** كأول حاكم تركي على الجزائر من طرف السلطان العثماني **صار يلقب ب " بايلر باي " (أمير الأمراء)** و **تحول من مجرد أمير البحر إلى رئيس دولة مرتبطة بالإمبراطورية العثمانية** و متحالفة معها ضد اسبانيا زعيمة العالم المسيحي، و قوة يحسب لها حساب كبير على المستوى الدولي.

ج. تحالف خير الدين مع العثمانيين: والجدير بالذكر أن تحالف خير الدين مع العثمانيين مكنه من أن يغيّر مجرى الأمور بشمال افريقيا، و يوحد هذه البلاد بحيث تمكنت القوات الجزائرية و العثمانية من إخراج الاسبانيين من تونس و طرابلس في القرن السادس عشر (16). كما ساعد خير الدين فرنسا على تحرير ميناء نيس من القوات الاسبانية المرابطة به و ذلك سنة 1543م. كما استطاع خير الدين أن ينتصر على الاسبانيين في هجومهم العنيف على مدينة الجزائر سنة 1519 ، و كذلك طرد الاسبان من برج الفنار في شهر ماي 1529 . و بالمقابل تمكن من القضاء على الثورات التي كانت تدبر ضده من الداخل، - و نجح في الاستيلاء على المدن المتبقية من الجزائر: (القل و قسنطينة عام 1521، عنابة 1522 و الحضنة و القبائل و متيجة عام1525 ، و استرجع مدينة الجزائر من يد سلطان قبائل كوكو بن القاضي عام 1526.) ويذكر أن السلطان العثماني سليمان الأول (القانوني) **استدعى خير الدين عام 1535 إلى** القسطنطينية و عينه قائدا عاما للأسطول البحري التركي، و وضع تحت تصرفه البوارج الحربية و المعدات العسكرية التي كسرت شوكة الإسبان في تونس و طرابلس و الجزائر، و بقي في هذا المنصب حتى وافته المنية عام 1546 عن سن يناهز 80 سنة. و في الوقت الذي تغيب فيه خير الدين عن أرض الجزائر و انشغاله بتنظيم البحرية التركية قام بتعيين ابنه حسن باشا قائدا للجزائر.